إعداد / رياض شمسان

قلعة صيرة من أقدم المعالم الأثرية التاريخية في عدن

■ تقع عدن جغرافياً في أقصى الطرف الجنوبي الغربي من الجمهورية اليمنية وفلكياً وعرض(١٢:٤٧ شمالاً) وخط طول(٤٤:٧٥ شرقاً) وتبعد عن العاصمة صنعاء ٤٣٠ كم) وتحدها من الشمال والغرب محافظة لحج ومن الشرق محافظة أبين ومن الجنوب خليج عدن والبحر العربي(١).

مناخ عدن من حيث الحرارة تبلغ في الصيف (يوليو) في المتوسط بين ٣٠-٣٦ درجة مئوية) وفي الشتاء بين (٣ ,٢٣ مئوية- ٨ ,٢٨ مئوية) وتبلغ نسبة بين (٦٢-٧٣ مئوية) وهطول الأمطار بصورة عامة قليلة وغالباً ما تكون شتوية في الصيف ويبلغ المعدل العام المتوسط للأمطار(٥٠ ملم) (١).

هضبة شمسان

هضبة شمسان تحتل مساحة تزيد على الثلثين من مساحة عدن كريتر، في أعلى مدينة كريتر جنوباً، وتنتصب على الهضبة ثمانية سدود، اثنان منها يقعان في وادي الخساف والستة الباقية تقع في وادي الطويلة حيث الصهاريج وهناك سد تاسع أخير يقع في بستان الفرس- أو البستان الفارسي- وهو ذو طابع قديم والسدود الثمانية السابقة تم استخدامها بعد الاحتلال الانجليزي لمدينة عدن- كريتر عام «١٨٣٩ميلادية»، ويمكن التفصيل عن تلك السدود كالتالي:-

أ- سدا بحيرة الخساف: بدأ مشروع بناء سدي بحيرة الخساف في عام «١٨٦٣ميلادية» بعد فشل ترميم صهاريج الطويلة وكحل لمشكلة المياه في مدينة عدن حيث أن وجودالسد سوف يؤدي الى حجز المياه وتكوين بحيرة من المياه ونقلها عبر قناة تمر تحت نفق في خزانات المنصوري الى خزانات في جبل الحديد..

وقد تم الإنتهاء من بناء السد في عام «١٨٧٧ ميلادية»، وأطلق عليه سد الحوض الكبير بني سد آخر أطلق عليه سد البئر، ويصب السدان في وادي الخساف.

ب- سدود وادي الطويلة: تقع السدود الستة المبنية على وادي الطويلة بهدف تنظيم المياه المنهمرة الى الصهاريج، ويمكن سردها بحسب الترتيب «سد المساقط الأربعة ، وسد المساقط الثلاثة، وسد الصخرة، والسد العميق ، والسد الوسيط وسد التعكر» و قد بنيت خلال «النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي»..

ج-سد بستان الفرس : ويقع في نهاية الهضبة من ناحية الشرق حيث يسمى سد بستان الفرس ويصب في صهريج «بليفر» عن طريق قناة تصل بينهما..

قلعة صيرة

قلعة صيرة من أقدم المعالم الأثرية التاريخية بمحافظة عدن، وتعد مع صهاريج الطويلة أبرز معلمين أثريين بارزين في تاريخ عدن، وهي عبارة عن قلعة قديمة توجد بها تحصينات عسكرية تعتلي جبل صيرة الأسود والذي يطلق عليه جزيرة صيرة الواقعة في البحر قبالة خليج حقات وتتصتب الجزيرة بجبلها وقلعتها في البحر كدبدبان يعايش النهار ويسامر الليل بكل يقظة مدينة عدن وكخط دفاع متقدم، إضافة الى ذلك تستمد الجزيرة من موقعها الحساس ميزة هامة في مراقبة حركة السفن القادمة الى ميناء عدن والخارجة منه، وتقع جزيرة صيرة وجبلها قبالة جبل المنظر من جبال حقات، وترى بعض المصادر أن جبل المنظر ماهو إلا امتداد طبيعي لجبل صيرة في القلعة بئر تسمى «بئر الهرامسة»، تروج بعض الأساطير بأن الجن والعفاريت هم من انشأها وتتعدد الآراء في المصادر التاريخية القديمة والحديثة حول تاريخ وفترة زمن بناء البئر ولايعرفون على وجه الدقة تاريخ انشائها الحقيقي فمنهم من يرى أنها انشئت مع بدايات بناء ميناء عدن كريتر كميناء تاريخي لعدن، ويعود ذلك الى فترة ماقبل الإسلام، ويرجع البعض تلك - التحصينات- الدفاعية إلى «القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين» أثناء دخول المماليك والأتراك اليمن تحت غطاء مواجهة الغزو البرتغالي، ويعود السبب أساساً الى غياب أو اندثار بعض المصادر التاريخية التي قد تكون أوردت شيئاً بشأن مايتعلق ببناء قلعة صيرة، قلة وغياب الدراسات الأثرية المتخصصة في هذا الجانب ناهيك عن قلة الوسائل والإمكانات المادية الخاصة بعمل حفريات وتنقيبات أثرية بالقرب من موقع القلعة أو حولها لبحث ويكشف تاريخ بناء القلعة العتيقة الهامة..

وتقول الدراسات الميدانية الحديثة اعتماداً على شواهد تاريخية بأن أول بناء أصلي للقلعة يعود الى فترة الحكم الأيوبي عثمان الزنجيلي التكريتي والي عدن من قبل «توران شاه الأيوبي» أحد أشقاء صلاح الدين الأيوبي الذي جاء الى اليمن في سنة «٥٦٩هجرية- ١١٧٣ميلادية» حيث قام عثمان الزنجيلي «ببناء الأسوار والحصون»، ومايؤيد هذا الرأي هو التشابه الحاصل بين القلاع وأبراجها التي أقامها الأيوبيون في مصر والشام مع قلعة صيرة..

وتتكون قلعة صيرة من برجين كبيرين اسطوانيين تنحصر بينهما مداخل القلعة ويوجد داخل البرجين فتحات لري السهام تسمى «المزاغل»، ويتم الصعود الى مدخل القلعة بواسطة سلم يؤدي الى بوابة مستطيلة خشبية تؤدي الى باب خشبي خلفي يطل على الصالة المركزية الرئيسية والتي تتوزع منها طرقات «ممرات جانبية» توصل الى غرف «حجرات» ذات مساحات مائلة توجد بجدرانها فتحات لرمي السهام، كما يوجد سلم- درج- آخر يوصل الى الطابق العلوي للقلعة، وتوجد بالممرات أقبية ذات شكل أسطواني- كما توجد بأسقف الحجرات فتحات لمرور الضوء وتحسين التهوية- وبصورة خاصة- في الصالةالمركزية، كما يوجد في سطح القلعة فوق الطابق الثاني- قواعد خرسانية مستديرة الشكل من الحجارة الضخمة، ويوجد على سقفها عدد من القواعد الحديدية بغرض تركيب المدافع النارية- استخدمت بداية فترات الأتراك والانجليز ومنذ القدم اكتسبت قلعة صيرة أهمية لدى ولاة وحكام الدول المتعاقبة في السيطرة وتعرضت للاهمال وعدم العناية الكافية.

وفي مطلع «القرن العاشر الهجري- السادس عشر الميلادي» في عهد الدولة الطاهرية كان للقلعة أهمية، وتم صيانتها وترميمها ودعمها بالعدد الكافي من الحراس لتحصينها لحماية المدينة من هجمات الغزو الخارجي لها، مثلاً: صد هجمات البرتغاليين في الفترة «١٥١٣-١٥١٦م» وصد هجمات المماليك في الفترة «٩٢٢هجرية- ١٥١٧ميلادية» وصد هجمات العثمانيين في الفترة «٩٤٤هجرية - ١٥٣٨ميلادية» وقد تمت العناية بها بصورة خاصة خلال فترة مرجان الوالي من قبل الدولة الطاهرية..

وفي ظل محاولة الانجليز الاستيلاء على عدن صمدت عدن وقلعتها،ولكن فارق القدرات العسكرية مكن الانجليز من احتلال عدن في «١٨٣٩/١/١٩ميلادية»، قاقاموا فيها- تحصينات- عسكرية حديثة لمواجهة منافسيهم وبالذات الإيطاليين الساعين للسيطرة على عدن.

منارة عدن

تختلف المصادر التاريخية حول منارة باقية من مسجد قديم تهدم في مرحلة تاريخية معينة، والرأي الثاني يرى أنها فناراً أو برجاً لمراقبة السفن والمرجح صحة أنصار الرأي الأول، وهم عديدون حيث إن منظرها العام الخارجي- والبناء الداخلي يدل بأنها منارة باقية لمسجد تهدم، وهي تقع في منطقة كريتر بالقرب من ملعب كرة القدم - ملعب الحبيشي- باتجاه الغرب، والمنارة تحيط بها حديقة صغيرة مغلقة وبالقرب منها يقع سور مبنى البريد العام بالقرب من شارع الملكة أروى..

كما تشير المصادر التاريخية حول تاريخ بناء منارة عدن ومسجدها، فهناك رأي يعيد تاريخ بنائها الى الخليفة الأموي «الملقب خامس الخلفاء الراشدين «عمربن عبدالعزيز» ومصدر ثاني يرجح بان بانيها هو وزير الدولة الزيادية «الحسين بن سلامة» وأخيراً يرى مصدر ثالث انها بُنيت في عهد السلطان الطاهري «عامر بن عبدالوهاب» ومن المرجح أنها موغلة في القدم تعود للعصور الإسلامية الأولى، وذلك حسبما يفيد بعض المؤرخين الذين يرون أنها بُنيت قبل حوالي «١٢٠٠عام»، ومايسبق يدعو الى القول بإمكانية بنائها في زمن عمر بن عبدالعزيز بن مروان، وأعيد تجديدها في زمن صاحب المآثر «الحسين بن سلامة الزيادي» والجائز أن يكون «عامر بن عبدالوهاب» قد قام بترميمها والمنارة تقوم على قاعدة مدورة وتاخذ شكلاً مخروطياً ذا أبعاد «مثمن الأضلاع»، ويبلغ عدد أدوارها- طوابقها ستة طوابق ويقدر طولها كاملاً بحوالي «٢١متراً»، ويوجد بها سلم داخلي حلزوني تبلغ عدد درجاته «٨٦درجة»، تؤدي الى آخر طابق فيها مكان الأذان «المأذنة»، ويوجد فيها نوافذ عدة تزداد اتساعاً في الطابق الأعلى، وقد شوهدت المنارة مع مسجدها في رسومات البرتغاليين إبان الغزو البرتغالي لعدن خلال الفترة من «٩١٨- ٩٢١هجرية» - «١٥١٣-١٥١٦ميلادية»..

يعتبر المسجد من أقدم المساجد في عدن وينسب بناؤه من خلال تسميته الى أبان بن عفان» توفي في «١٠٥هجرية- ٧٢٣ميلادية» بالمدينة المنورة، من التابعين وبعد من فقهاء المدينة المنورة العشرة مع «سعيد بن المسيب» وكان يفقه الناس أمور دينهم، وبنى مسجده قبل عودته الى المدينة المنورة وبعد مسجد أبان من المعالم الإسلامية القديمة ذات البناء البسيط الذي كان طابع البناء في القرون الإسلامية الأولى، والمتعارف عليه بين أوساط عامة الناس أنه مسجد مبارك فيه الدعاء، وقدتم ترميمه مرات عدة، آخرها كانت في عام ١٩٩٨م على نفقة مؤسسة هائل سعيد الخيرية، وجدير بالذكر أن أحمد بن حنبل قد قام فيه أثناء زيارته لعدن للقاء «إبراهيم بن الحكم» حفيد أبان للأخذ من معارفه وعلومه الدينية، وكان ذلك حوالي «١٥٤هجرية»، ولاتوجد للمسجد مأذنة أو قبة، والزخارف التي تزين أبوابه وأعمدته ونوافذه ذات شكل بسيط وبديع تمت خلال فترات ترميمه المتلاحقة..

٦- مسجد العيدروس

يقع مسجد العيدروس في حي العيدروس بمنطقة كريتر،وقد بناه الشيخ العلامة عبدالله بن أبي بكر العيدرس «الذي وُلد بمدينة تريم- حضرموت في «٨٥٢هجرية- ١٤٤٨ميلادية»، وحفظ القرآن الكريم صغيراً وتعلم بمدينة تريم على أيدي كوكبة من أكابر علماء وفقهاء المدينة في ذلك العصر حتى أصبح شيخاً ملماً بالعلوم والمعارف الدينية فطاف بأجزاء من حضرموت منها الشحر ثم تجول زائراً الى زبيد وبيت الفقيه وحج الى بيت الله الحرام وعند عودته زار ميناء زيلع- حالياً في الصومال- ثم رحل إلى الحديدة فتعز وأخيراً عدن بناء على طلب ورغبة من علمائها في مجيئه اليهم للاقتباس والنهل من علمه، ومعارفه ولبى الدعوة فدخل عدن في «١٣ربيع الثاني ٨٨٩هجرية- ١٤٨٤ميلادية»، وباتت ذكرى دخوله عدن موعداً لزيارته المشهورة والمقامة كل عام منذ مايزيد عن «٥٣٠سنة» إلى يومنا هذا، قام الفقيه العلامة «الشيخ العيدروس» بتشييد مسجده في عدن «٨٩٠هجرية- ١٤٨٥ميلادية»، وقد اشتهر بالكرامات الظاهرة، والبركة الزاهية الطاهرة ، وأصبح له الكثير من التلاميذ والمريدين، وذاع صيته في بقاع شتى من العالم الأسلامي..

تفي «الشيخ العيدروس» في ليلة الثلاثاء ١٤ من شهر شوال «٩١٤هجرية- ١٥٠٨ميلادية»، من مؤلفاته العلمية ديوانه الشهير مجحة السالك وحياة الناسك»، كما ألف كتاباً في الصوفية هو «الجزء اللطيف في التحكيم الشريف»، وله ديوان قام بجمعه أحد تلاميذه،كما أن له مؤلفات خطية محفوظة في مكتبة الدولة المسماة بمكتبة الأحقاف بتريم- حضرموت.

وقد قام «الشيخ العيدروس» بالكثير من المآثر والمكارم منها مايتعلق بالاصلاح الاجتماعي على مستوى الأفراد والفئات المتنازعة في عهده، كما كان جواداً كريم اليد وبالذات على الفقراء والمساكين ويروي أنه توفي وعليه ديون من جراء سخائه وجوده قام بسدادها بعد وفاته أهل الخير من المحبين له، وقد عاش في مدينة عدن مايقرب من «٢٥سنة»، وأول من لقب بالعيدروس من أهله هو ولده عبدالله، واللفظة تحريفاً وتصحيفاً لكلمة «عتروس» وهي اسم من أسماء الأسد...

يمكننا أن نسلط الضوء بشيء من التفاصيل على مسجد العيدروس من الناحية الهندسية والزخرفية والتطورات والتجديدات التي طرأت عليه ومراحلها المختلفة..

في البداية هو مسجد صغير بُني على الطراز المعماري الاسلامي القديم، يوجد الى الشمال من المسجد قبر وضريح «الشيخ العيدروس» وتم التجديد الأول خلال عهد العثمانيين في «٩٧٦هجرية- ١٥٦٨ميلادية» بعد مايزيد عن «ستين عاماً» من رحيل «الشيخ العيدروس»..

البناء الحالي والتجديد للقبة والمدخل الرئيسي الشرقي يعود تاريخ بنائه الى عام «١٢٨٥هجرية- ١٨٥٩ميلادية» وذلك وفقاً لما ورد في نص التاسيس على لوح خشبي منقوش بالمدخل الرئيسي المؤدي للقبة والمسجد..

المدخل الرئيسي تغطية قبة يصعد اليها عن طريق درجات سلم، ويزين القبة زخارف ومنمنمات زخرفية وهندسية مرسومة باللون المالي على طبقة من الجص الجيري بطريقة فريسك Fresco وبواجهة المدخل عقد مفصص أخاذ يشبه تلك العقود المنتشرة في جوامع المغرب العربي..

«قبة الشيخ العيدروس»..

كبيرة تغطي حجرة مربعة تحتوي بداخلها على توابيت خشبية «للشيخ العيدروس» وأفراد من أسرته وبعض أقربائه، ويزين القبة عقد مدبب يحيط بها، كما أن القبة من الداخل بها زخارف ونقوش باللون المائي، كماتوجد أربع نوافذ لغرض تحسين الإضاءة والتهوية ويوجد بالحجرة أربعة أبواب موزعة على جدران الحجرة الأربعة، هي أبواب خشبية مستطيلة تتكون من مصراعين- جزئين- مزينة بزخارف ونقوش محفورة عليها ويقوم على المسجد منارة عالية باتت من معالم المدينة، وهي ملاصقة للجدار الشمالي للقبة في الجانب الشرقي ومبنية من حجر الحبش الأسود، وتتكون من بدن مثمن الشكل والأضلاع به دورات خشبية تنتهي في الأعلى بقبة صغيرة مضلعة، ولاتوجد فتحات كثيرة في بدن المنارة ويوجد في الدور الثالث- الطابق الثالث- اربع مشربيات خشبية بارزة عن بدن المنارة تستخدم للأذان، ويلاحظ وجود تاثر بنمط العمارة الإسلامي في بناء المنارة بما هو موجود في الهند وإيران، وذلك بحكم التواصل الدائم مع تلك البلدان الاسلامية، والذي فرضه الموقع الجغرافي لمدينة عدن، وقد بُنيت في «القرن التاسع عشر الميلادي»

يعود وضع المسجد الحالي الى آخر التجديدات التي تمت في القرن الثالث عشر الهجري- التاسع عشر الميلادي» ويعتبر من المساجد اليمنية المميزة بكثرة الأعمدة، وليس له صحن أو فناء مثل تلك التي تشتهر بها المساجد القديمة في المدن اليمنية الأخرى.

-تتنوع الزخرفة والنقوش الموجودة بالمسجد من حيث تنوع الأساليب التي تم استخدامها في مراحل التجديدات المختلفة تبعاً لاختلاف المدارس المعمارية الإسلامية، كما يلاحظ الزخارف والمنمنمات والفسيفساء والزركشات المستخدمة وبالذات في الأبواب الخشبية والنوافذ والتوابيت الموجودة بداخل القبة وفي الدهليز قد تمت باستخدام أساليب الحفر والتخريم.

٧- المتاحف:-

أ- المتحف الوطني للآثار بعدن:

مقرالمتحف: قصر ١٤اكتوبر- كريتر- الخليج الأمامي..

أغلب موجودات المتحف كانت معروضة سابقاً ضمن متحف عدن الذي كان في الحديقة المعروفة بـ«صهاريج الطويلة»، وقد تم نقل تلك الآثار والتحف الى متحف الآثار بالتواهي في العام «١٩٦٧م ميلادية» ، وأخيراً تم نقلها في عام «١٩٨٢ميلادية» الى قصر ١٤ أكتوبر حيث تسمى حالياً الهيئة العامة للآثار والمخطوطات والمتاحف...

الطابق الأول من مبنى قصر ١٤أكتوبر المكون من ثلاث قاعات رئيسية وممرات طويلة من الداخل يوجد على يسار مجموعة من الآثار الحجرية «تعود الى العصر الحجري» حيث توجد آلات وأدوات حجرية، ويوجد بالممر الشمالي مجموعة من القطع الأثرية المكتوبة بانواع مختلفة من الخط اليمني القديم.

القاعة الشمالية

وبها آثار تعود الى العهود السبئية القديمة، وهي عبارة عن قطع تشمل سيوفاً ومباخر وقرابين ونقوش مكتوبة على الواح من الحجر مدون على بعضها أسماء لملوك دولة سبأ.

القاعة الرئيسية

وهي خاصة بآثار دولتي قتبان وأوسان، وتشمل تماثيل لملوك أوسان وعدد من الزخارف والقرابين..

القاعة الجنوبية

وتخص الآثار الإسلامية، وتشمل قطعاً أثرية وصوراً لمعالم تاريخية..

الممر الشرقي والممر الجنوبي: توجد بهما قطع وتماثيل، تخص فترة ملوك سبأ وذي ريدان.

الموروث الشعبي

قصر ١٤ اكتوبر- الخليج الأمامي- كريتر هذا القصر أيضاً يقوم على الموروث الشعبي التي توجد أيضاً بمتحف عدن الواقع بحديقة صهاريج الطويلة، وقد أُعيدت الى قصر الشكر- قصر سلطان لحج سابقاً- في عام «١٩٨٨ميلادية»، وبعد تسميته الجديدة قصر ١٤ اكتوبر المخصص كمبنى للهيئة العامة للآثار والمخطوطات والمتاحف ليتم دمجهما في العام ١٩٩٢م وذلك بغرض عرض كامل لنشاطات حياة الإنسان اليمني من الأواني والأدوات المستخدمة في الطعام وأدواته الموسيقية والأسلحة القديمة كالسيوف وأدوات الطبابة والزراعة ويحتوي متحف الموروث الشعبي على ثلاث صالات في الدور- الطابق- الاول من القصر وهي كالتالي: الصالة الاولى:

ويعرض فيها مايخص تقاليد ومراسيم الزواج في عدن ومكونات وتجهيزات الاحتفال وصندوق العروس وبعض الآلات الموسيقية والحلي ولوازم الولادة مثل سرير الطفل وتقاليد الولادة والختان.

- الصالة الثانية: البيت العربي العدني ومايحويه من نماذج للزخارف الخشبية التي تزين مداخل الأبواب ثم مناظر لغرفة الجلوس «المقيل» أو«المبرز» ومحتوياتها، كما يوجد فيها من الحلي الفضية التقليدية القديمة والأزياء الشعبية وطرق صياغة وطبع القماش وعملات قديمة، كما توجد ادوات المطبخ اليمني القديمة المصنوعة من الفخار والحديد والجلد والخشب اضافة الى المباخر.

- الصالة الثالثة: تضم غرفة الطعام ومحتوياتها الى جانب الأواني المستخدمة لشرب وحفظ الماء ونماذج لبعض الاسلحة القديمة كالسيوف والجنابي والخناجر والبنادق ثم ادوات ومعدات الطب الشعبي وادوات الزراعة المستخدمة قديماً..

٨- جبل الحديد:

تعود تسمية جبل الحديد كما أشيع قديماً لوجود معدن الحديد فيه، وروى «ابن المجاور» في كتابه «تاريخ المستبصر» أن رجلاً سبك منه حديداً قدر«بهارين ونصف» وبالقرب منه دارت معركة بين أمراء الدولة الطاهرية بين الشيخ «محمد بن عبدالله بن داوود بن طاهر» وابن عمه الشيخ «عبدالباقي محمد بن طاهر» وتوجد على سفح وقمة جبل الحديد العديد من التحصينات- العسكرية من قلاع وحصون دفاعية، ويكتسب جبل الحديد اهمية موقعه الاستراتيجي الذي يجعله مشرفاً ومطلاً ومهيمناً على مدينة عدن، من أجل ذلك جاءت أهميته عند الدول المتوالية على حكم عدن، وتعود تلك القلاع والحصون الى عصور الأيوبيين والمماليك والعثمانيين والاحتلال الانجليزي.

النفق الصغير

عبارة عن ممر منقور في الجبل المقابل لجبل الحديد من جهة الجنوب، ويمتد على طول الخط الموازي لمبنى ادارة التربية- حالياً- الواقع عليه ومابين الجبلين من فضاء أو أرض يسمى البرزخ بقدر طوله حوالي «٧٥٠» ويتصل النفق الصغير الى الجبل الذي حُفر في النفق الكبير، ويقع مبنى إدارة التربية عند نهاية رأس الجارف الذي يربط بين النفق الكبير والصغير ويوجد بالبرزخ الكبير خزانات للمياه...

النفق الكبير

يمتد النفق الكبير بطول قدره «٣٥٠ ياردة» ويمر تحت جبل المنصوري ليصل من باب عدن القديم المسمى باب البر بالقرب من شارع الملكة اروى مقابل مبنى معهد الفتوه الجميلة..

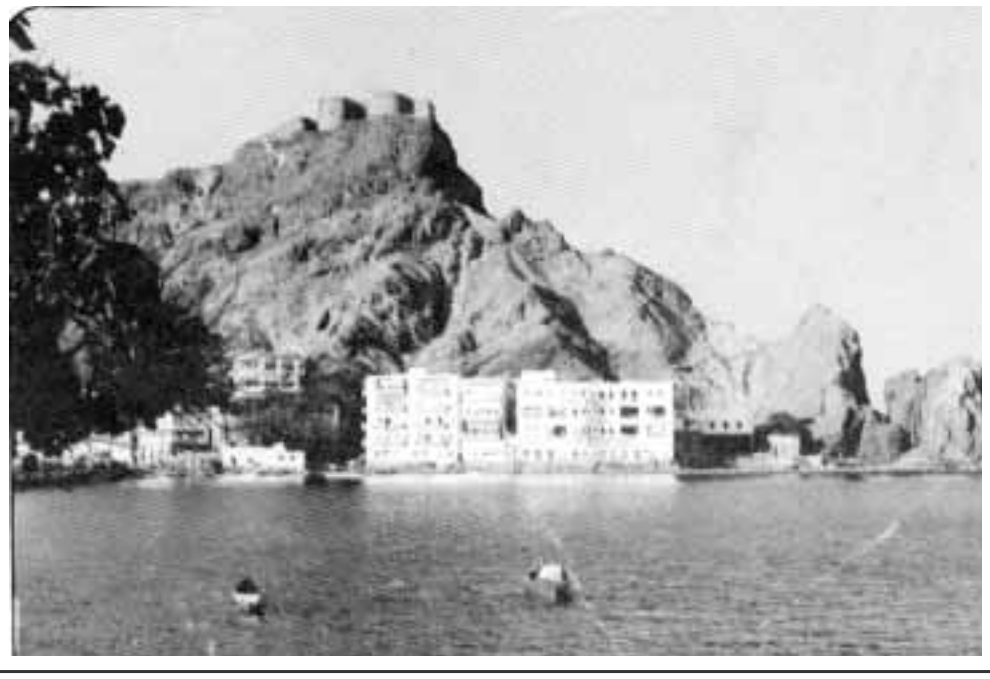

مساجد تاريخية عامرة بحفظ القرآن الكريم والفقه والعلوم الدينية